الرياح آية من آيات الله الكونية

محمد رمزي أحمد فواز

المدرس المساعد بقسم الدعوة

جاء فى الذكر الحكيم آيات متعددة تذكر الرياح وتبين منافعها التى لاتقع تحت حصر . وهنا أذكر آية واحدة فقط ذكر فيها لفظ الرياح إذ ليس فى الإمكان ذكر جميع الآيات التى ذكرت لفظ الرياح :

يقول الله تبارك وتعالى : « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »(١) .

قال القرطبي (قوله تعالى : « ومن آياته أن يرسل الرياح » أى من أعلام كمال قدرته ارسال الرياح)(٢) .

فإرسال الرياح أحدى علامات كمال قدرة الله عز وجل ووحدانيته وحكمته ورحمته ودليل هيمنته وعنايته بخلقه وقيوميته جل جلاله على خلقه . وهى عبرة وعظة لمن يتدبر فى منافعها كما أنها حجة على من لا يتدبر فى سننها ويهتدى بها إلى خالقها ومبدعها وما آية الرياح بكل مافيها من ابداع إلا أحدى آيات الله تعالى فى الكون التى لاتعد ولا تحصى ، وقوله تعالى :

---

(١) سورة الروم الآية ٤٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن حـ ٦ ص ٥١٢٥ طبعة الشعب .

« مبشرات وليذيقكم من رحمته » قال الألوسى (« مبشرات » أى بالمطر « وليذيقكم من رحمته » يعنى المنافع التابعة لها كتذرية الحبوب وتخفيف العفونة وسق الأشجار إلى غير ذلك من اللطف والنعم . .)(١) .

فالألوسى رحمه الله جعـــل مبشرات غير الإذاقة فلكل منهما منافع وقريب من هذا المعنى ذهب عدد من المفسرين منهم صاحب الفتوحات الإلهية(٢) .

وهذا يفيد أن الرياح منافع جمة غير منفعتها العظمى الخاصة بدورة الماء ، وما هذا وذاك إلا جزء من رحمة الله تبارك وتعالى الرحمن الرحيم يدل على ذلك حرف « من » فى قوله تعالى : « وليذيقكم من رحمته » فهى هنا (تبعيضيه أى بعض رحمته)(٣) .

وقوله تبارك وتعالى : « وليذيقكم » يقال (ذاق الشيء يذوقه ذوقا وذواقا ومذاقا : أدرك طعمه فى فمه ، وقد صار يستعمل فى الاحساس العام الذى تشترك فيه جميع قوى الحس)(٤) .

فالله تبارك وتعالى خلق لنا الرياح وخلق لنا من الأجهزة والحواس ماتتذوق بها آثار رحمة الله تعالى فيها ، فهذا موات لذاك ، وهذا من التناسق البديع بين مخلوقات الله تعالى ، فالرياح وآثارها متسقة تماماً مع المخلوقات الأخرى وكل يطلب الآخر ويستبشر به وخاصة الإنسان ، وجاء فى لسان

---

(١) روح المعانى حـ ٢١ ص ٤٥ دار أحياء التراث العربى بيروت .

(٢) الجمل حـ٣ ص ٢٩٧ مطبعة عيسى الحلبى .

(٣) المرجع السابق حـ ٣ ص ٢٩٧

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية حـ١ ص ٤٣٣

العرب (تذوقته أى ذقته شيئاً بعـــد شىء وأمر مستذاق أى مجرب ومعلوم)(١) .

فمن رحمة الله تعالى أن جعل هذه الرياح دائمة لا تتبدل بغيرها والناس — وكل المخلوقات — تذوقوها وألفوها وبها عاشوا كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى وأذكر فى هذه العجالة بعضاً من إذاقته تعالى إيانا من رحمته فى الرياح :

١ — أن الله عز وجل جعلها جصنا منيعاً يقينا حرارة الشمس الحارقة وذلك فى أثناء النهار وأثناء الليل كذلك، أماق النهار : فلو تدبر الإنسان كم من الطاقة تخرج من الشمس وكيف تقف الرياح لصد النصيب الأكبر منها ولا تسمح إلا بمرور جزء ضئيل وهو جزء مقدر من عند الله تعالى — وكل شىء عنده بمقدار — وهذا الجزء صالح لحياتنا — نحن البشر — وحياة كل من على وجه الأرض لو تدبر الإنسان هذا لأدرك جانباً من آثار رحمة الله تعالى فى نعمة الرياح (أن الشمس تحرق فى كل ثانية واحدة أربعة ملايين طن من مادتها . . . أربعة ملايين طن تدخل فى تفاعل نووى جبار فى كل ثانية فتنشأ فى جوفها حرارة تصل إلى ٤٠مليون درجة مئوية)(٢) .

ولو جاءت كل هذه الحرارة إلى سطح الأرض فماذا تكون النتيجة ، لا شك أن العاقل قد أدركها ، ولكن اللطيف الخبير الرحمن الرحيم خلق الرياح وجعلها درعاً مانعاً ولا تسمح من الحرارة إلا بقدر مايفيد الحياة ويصلحها ولا يفسدها ويهلكها (فالأرض كلها لا تستقبل إلا جزءاً واحداً من ألفى جزء من أشعة الشمس أو طاقتها)(٣) .

---

(١) ابن منظور حـ ٢ ص ١٥٢٦ دار المعارف .

(٢) دورات الحياة : د . عبد المحسن صالح ص ٩٨ المكتبة الثقافية ٣٤٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م (٣) المرجع السابق ص ٦٩

ومن عجيب صنع الله تعالى أن خلق سننا وأسبابا لجعل الرياح تتحرك منها أشعة الشمس وميلها عن سطح الأرض ، ومن هذا الجزء الضئيل من حرارة الشمس تمضى الحياة بكل مظاهرها فتدور الرياح وينزل المـاء من السحاب فتورق الأشجار وتعطى الثمـــار ويعيش الإنسان وغيره من المخلوقات .

وإذا زادت درجة الحرارة شيئا بسيطا فإن ذلك يؤدي إلى نتائج وخيمة، فقد تناقلت وكالات الأنباء ، أنباء موجة حارة إجتاحت أمريكا (وقد ارتفع عدد ضحايا الموجة الحارة فى عشرين ولاية أمريكية إلى ١٢٠٠ قتيل)(١) ، فضلا عما أصاب حرثهم وأنعامهم ، وذلك لأن الحرارة قد اقتربت من ٤٠ درجة مئوية فى الظل .

أما فى أثناء الليل فإن الرياح تقوم باحتباس الحرارة التى هبطت على سطح الأرض أثناء النهار ، ولولا ذلك لعاشت المخلوقات — إن استطاعت العيش — وخاصة الكائنات الحية فى ليل بارد لا يطاق بل التقلب بين نهار شديد الحرارة وليل شديد البرودة كفيل وحده بالقضاء على جميع مظاهر الحياة — وخاصة على سطح الأرض — ولكنها رحمة الله تعالى فى الرياح . فكم أهلكت البرودة من أناس وحيوانات وزروع وثمـار ، وجاء فى صحيفة الأخبار وهى تحكى ما تعرضت له إحدى البلاد من موجة باردة تحت عنوان (الثلوج تقتل ٢٦٣ فى أمريكا)(٢) .

حيث بلغت درجة الحرارة إلى ٤٢ درجة تحت الصفر ، وأفادت الأنباء (بمصرع مائة وتشريد أكثر من خمسة آلاف . ومليار دولار

---

(١) صحيفة الأخبار ١٩٨٠/٧/٢٣م الصفحة الثانية
(٢) العدد ٩٢٣٧ بتاريخ ١٩٨٢/١/١٩ ص ١

خسائر بسبب تلف محصول البرتقال(١) .

ومن العجيب أن حريقا شب فى هذا الجو البارد القارس إلا أن الأمريكيين رغم تقدمهم العلمى لم يستطيعوا إطفاءه وقالوا عن سبب فشلهم لإطفاء هذا الحريق (نتيجة تجمد المياه فى خزانات وخراطيم المياه)(٢) .

فالرياح مسخرة بأمر الله تعالى وقدرته وحكمته فقد تكون حارة أو باردة أو معتدلة ولا تكون إلا بما يريد الله تعالى لها أن تكون . وهذا فى حد ذاته ينفى قول القائلين أن الرياح تسير — وغيرها من المخلوقات — تسير بالطبيعه أو الصدفه أو أن الله خلقها وتركها هباء وليس بقيوم عليها — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — فلو كان الأمر كما يدعى الحمقى لعملت وفق طريقة واحدة لا تتغير من مكان إلى مكان ولا من زمان إلى زمان . والذى يعمل على تلطيف المناخ بين الحرارة القاتلة والبرودة المهلكة هو الله تبارك وذلك برحمته وفضله فى آية الرياح .

٢ — ومن رحمة الله تعالى بنا وبغيرنا فى الرياح : أن جعلها تقينا من الإشعاعات الكونية المدمرة ، وذلك أن طبقة الرياح الملاصقه للأرض التى تحيا المخلوقات بنسيمها وخصائصها تكون فوق الأرض بمقدار أحد عشر كيلو مترا وتوجد فوق هذه الطبقة غازات ضارة بالإنسان وبغيره ولا يمكن بها ومعها الحياة ، إلا أن الله تعالى برحمته جعل الرياح درعا واقيا فتعمل على تفتيت تلك الاشعاعات وتشتيتها ، وتعمل الرياح بما أودع الله تعالى فيها من سنن كمرشح لها ، ولا تسمح إلا بمقدار لازم للحياة على سطح الأرض وفق مشيئة الله تعالى وإرادته ورحمته بخلقه . ومن الإشعاعات القاتلة :

---

(١) المرجع السابق العدد ٩٢٣٣ بتاريخ ١٤/١/١٩٨٣ ص ٢

(٢) صحيفة الأخبار العدد ٩٢٣١ بتاريخ ١٢/١/١٩٨٢ ص ٢

الأشعة الكونية و (طول موجتها بالمتر ٣ × ١٠ مضروبة فى ١٥ ، ترددها فى الثانية ١٠ أمامها ٢٣ صفرا)(١).

فإذا دققنا النظر فى هذه الارقام وجدنا أن الله تعالى برحمته يقينا شرها بفضله لجعل الرياح مانعة إيانا من شرورها وفتكها ، ناهيك عن انفجار المجرات وهولها التى تحدث عنها العلماء هذا عن الاشعة الكونية، أما الأشعة فوق البنفسجية فتبلغ تردداتها (من 10^{15} : 10^{16} ذبذبة فى الثانيه)(٢) .

ولو وصلت هذه النسبة من هـذه الأشعة إلى الأرض ما أبقت عليها رطبا ولايابسا ولكن الذى قدر الأقدار وخلق فهدى جعل من رحمته الواسعة بأن هذه الاشعاعات تقينا شر نفسها بنفسها ،حيث أن (الأشعة الصادرة من الشمس تحتوى على كميات هائلة من الموجات فوق البنفسجية ، لو وصلت كما هى إلى سطح الأرض ، ما أبقيت على الحياة ولكنها بمرورها فى طبقات الجو العليا تعمل على تكوين طبقة من الأوزون وتكون سياجا حول الأرض يمتص الجزء الأعظم من الأشعة فوق البنفسجية ويسمح مرورها بالقدر الذى يساعد عـــلى استمرار الحياة على سطح الأرض دون الاضرار بها)(٣) .

وهذه العملية تحدث فوق طبقات الجو العليا دون أن ترهق الإنسان وغيره ودون تمزيقا لأعصابه ,وهو يعيش فى رحمة الله تعالى فى تسخيره الرياح حيث تعمل على نفاذ ماهو صالح لنا . ولا استطيع المضى فى ذكر

---

(١) د/ عبد المحسن صالح : هل لك فى الكون نقيض ص ١٤٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ العالم للجميع

(٢) د/ سيد رمضان هدارة : الكون ذرة وحركة ص ٦٨ دار القلم ١٩٦٤

(٣) المرجع السابق ص

أحوال وأهوال الفضاء مثل الحديث عن الأشعة تحت الحمراء والأشعة السينية وأشعة جاما وغير ذلك كثيرا مما كشف العلم عنه حديثا ويكشف عنه فى المستقبل .

٣ — الشهب والنيازك : ليس ما سبق هو كل أخطار الفضاء الخارجى التى تقوم الرياح بأمر الله تعالى ورحمته لوقايتنا منه ، بل هناك الشهب والنيازك ، فكم منها يتساقط على الغلاف الهوائى للأرض التى نحيا عليها ؟ وكيف يتعامل كما سخره خالقه — وخالق كل شىء — ؟ وكيف جعله الله تبارك وتعالى مظلة وقائية لحفظنا من أخطارها وأهوالها ، ونحن نرتع على أرض الله فى أمن وسلام ؟ (يتساقط إلى جو الأرض فى اليوم الواحد آلاف الملايين من الشهب)(١) .

وتبلغ سرعتها فى مسارات حول الشمس (من ١٠ كيلو مترات إلى نحو ٥٠ كيلو مترا فى الثانية)(٢) .

وعندما تهبط وتحتك بالهواء ، وتولد كميات ضخمة من الحرارة تختفى ولا يبقى فى الرؤية إلا مسارات تلك الغازات الملتهبة (على أبعاد تتراوح بين ٨٠ : ١٠٠ كيلو متر من سطح الأرض مما يدل بكل جلاء ووضوح على أن الهواء المخلخل الذى يعلو تلك الطبقات يكفى لتحطيم الشهب ودرء أخطارها عنا)(٣) .

وكان الغلاف الهوائى بهذا القدر الذى خلق عليه ، وبالنسب التى خلقها الله

---

(١) د/ سيد رمضان هداره : الكون ذرة وحركة

(٢) د/ محمد جمال الدين الفندى : الغلاف الهوائى ص ١١٨ ، المكتبة الثقافيه العدد ٩ ط ١٩٦٤

(٣) المرجع السابق ص ١١٨

جل وعلا ، والقوانين التى بثها الله تعالى إياه لتعمل على وقايتنا من كل هذه الأخطار حيث أن الرياح لو كانت ألطف عما هى عليه لاخترقت هذه الشهب والنيازك هذا الغلاف ولأحرقت كل ما يقابلها على الأرض إذ (لو كان الهواء أرفع مما هو عليه فإن بعض الشهب التى تحترق الآن كل يوم بالملايين فى الهواء الخارجى كانت تضرب فى جميع أجزاء الكرة الأرضية وهى تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلا فى الثانية وكان فى إمكانها أن تشعل كل شىء قابل للاحتراق ، ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية لارتطمت كلها بالأرض ولكانت العاقبة مروعة ، أما الإنسان فإن اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة كان يمزقه إربا من مجرد حرارة مروره إن الهواء سميك بالقدر اللازم بالضبط)(١) ، وصدق الله العظيم اذ يقول «إنا كل شىء خلقناه بقدر»(٢). ويقول عز من قائل « وكل شىء عنده بمقدار »(٣) .

ولكن ماذا لو أراد الله تبارك وتعالى أن ينزل أحد هذه الشهب على سطح الأرض على هيئة نيزك ليدرك الناس عناية الخالق بهم ورحمته لهم؟ لنذكر نيزكا واحدا نزل على الأرض كمثال لنعرف جانبا من رحمة الله فى تسخيره لنا نعمة الرياح (سقط — نيزك — بوادى ديابلو بأريزونا وأحدث فيه أخدوداً عميقا .. وتصادم مع السطح بعنف شديد ، أحدث فجوة هائلة بلغ قطرها اكثر من كيلومتر ونصف .. وبلغت مساحة الفجوة ٥٠٠ فدان ، ووصلت إلى عمق فى الأرض قدر حوالى ١٦٠ مترا .. وارتفعت حافة الأرض ما بين ٣٠ : ٤٥ مترا حول الفجوه ، هذا وقد قدر العلماء وزن

---

(١) كريسى موريسون : ترجمة . محمود صالح الفلكى : العلم يدعو للإيمان ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة القمر الآية ٤٩

(٣) سورة الرعد من الآية ٨

اكبر نيزك زار الأرض بحوالي ٦٠ طنا)(١) حتى الآن .

٤ ـ التنفس : من الفوائد والمنافع التى أذاقنا الله تعالى من رحمته من نعمة الرياح أن جعلنا نتنفسها ، وقد يصبر الإنسان ويمتنع عن الطعام أياما وكذا الشراب ، وقد يأبى طعاما معينا ويعافه وقد يتنوع فى أنواعه وكذا الشراب، إلا التنفس فإن الامتناع عنه لثوان معدودة كفيل بالقضاء مباشرة على الإنسان وغيره ، ولابد له من تنفس الهواء ولا بديل غيره إذ لا يتنفس سواه ، وعليه حياته وليس الانسان فقط بل الكائنات الحية بكل اجناسها حتى النباتات لاحياة لها إلا بالتنفس، والله تبارك وتعالى حتى يذيقنا من رحمته الواسعة من الرياح ، خلق لكل كائن حى جهازا خاصا لتنفس الهواء ، فهو فى الحيوانات يخالف النباتات وجهاز كل منهما يخالف مثلا جهاز التنفس فى الأسماك وكل ما سبق يخالف جهاز التنفس فى الإنسان ، ونأخذ جهاز التنفس فى الانسان كمثال ففيه من الابداع والاعجاز ما يدهش الإنسان ويجعله يخر لله ساجدا ويدرك عناية الله ورحمته به : يدخل الهواء من الأنف وفيه من الآيات والحكم ماينقى الهواء ، ويلطف حرارته إن كان ساخنا ويدفئه إن كان باردا ، إلى غير ذلك من الأسرار .

والحجرة والقصبة الهوائية والاحبال الصوتية ثم الرئة اليمنى والرئة اليسرى ، حيث تتفرع كل منهما إلى شعيبات (تصل فى نهاية أمرها إلى حوالى ٢٣٠ الفا من الشعيبات وتتفرع الشعيبات حتى تنتهى بحويصلات دقيقة يتروح عددها من ٣٠٠ : ١٨٠٠ مليون حويصلة)(٢).

ويأخذ الإنسان الاوكسجين من الهواء ويطرد ثانى أكسيد الكربون

---

(١) د/ عبد المحسن صالح : هل لك فى السكون نقيض ص ١٦٥

(٢) د/ عبد المحسن صالح : دورات الحياة ص ٨٢

فى عمليتين تسمى احدهما الشهيق والأخرى الزفير، وهذا الاوكسجين — أحد مكونات الهواء — يحصل القلب ينبض ويدق حيث يوزع الدم على سائر أعضاء الجسم والموزعون للدم الكرات الدموية الحمراء وقدرها العلماء المتخصصون (بحوالى ١٨ مليون كرة دموية ١٨على يمينها ١٢ صفرا)(١).

ولا شك أن هذا يحتاج إلى مواد غذائية ليحرقها ويبنى الجسم منها ثم اوكسجينا ليشعل به شعلة الحياة . هذا ويتنفس الشخص البالغ العادى فى اليوم وهو ساكن هادىء (نحو ٢٣٠٠ جالونا وهو يتنفس فى الدقيقة مابين ١٦ : ١٨ نفسا ومعنى هذا أن النفس يستغرق ٤ ثوان أو دون ذلك)(٢) .

ناهيك عما فى جهاز التنفس من ابداع يعرفه المتخصصون مثل الحجاب الحاجز والعضلات الصدرية والمخ وغير ذلك . أحداث هائلة تحدث فى جزء من جسم الإنسان لكى يتنفس شهيقا واحداً من الهواء (به حوالى ١٠٠,٠٠ بليون بليون جزء)(٣) من الهواء وهو لا يكاد يشعر بما يدور بداخله ولا يستطيع التحكم لا فى الكم ولا فى الكيف ، ويحدث هذا دون مشقة أو أدنى عناء من الإنسان بل يجد اللذة والراحة بل يجد الحياة فى ذلك الشهيق ولا حياة له بدونه . ومن حكمة الله تبارك وتعالى وعنايته ورحمته أن جعل الهواء بوفرة لا تحصى وجعله مبثوثا فى كل مكان ولا يخلو مكان منه، والإنسان أينما وجد على سطح الأرض وجد الهواء ، وكيفما كان وجوده كان الهواء محيطا به ، سواء كان نائما أم مستيقظا فى النور أم فى الظلام فى أعالى الجبال أو مهابط الوديان ، وهذا من دلالة لفظ الإرسال فى أول

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣

(٢) د / أحمد زكى : مع الله فى الأرض ص ١٢٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩

(٣) د / عبد المحسن صالح : دورات الحياة ص ٦٦

الآية الكريمة والارسال يشعر بالكثرة كما ذكر الإمام الرازى — رحمه الله(١) — ويلاحظ أن الارسال هو اللفظ الوحيد الذى لازم الرياح فى كل المواضع التى ذكرت فى القرآن إقرأ مثلا «وأرسلنا الرياح لواقح .. »(٢) واقرأ «وهو الذى يرسل الرياح الآية »(٣) . وإقرأ «والله الذى أرسل الرياح الآية »(٤) واقرأ «الله الذى يرسل الرياح الآية »(٥) والآية التى معنا فى بداية البحث وغير ذلك من الآيات . وهذا من رحمة الله تعالى ، ومن رحمته وفضله فى الرياح أن جعلها سبحانه بدون مقابل ، أو أى جهد يذكر وذلك لحاجة الإنسان الملحة فيه . فكما سبق قد يوجد الماء فى مكان ولا يوجد فى غيره والله تعالى خلق فينا تحملا حتى نبحث عنه والماء معروف دوره فى الحياة وكذا الطعام وغيرهما . أما الهواء فلو فقده الإنسان ثوان معدودات التى حتفه فورا . وهذا يدل على التناسق البديع بين مخلوقات الله تعالى . ومن العجيب أن الرئتين اللتين تعملان على أن يدق القلب وينبض لا تتوقف واحدة منهما لحظة واحدة طالما عاش الإنسان عشرات من السنين أو أقل أو أكثر .

ومن العجيب أيضا من بديع صنع الله تبارك وتعالى أن الإنسان يولد وهو مجهز بهذا الجهاز وغيره من الأجهزة وهو كان ماءا فى رحم أمه فمن يا ترى الذى أوحى إلى هذا الماء أن يتكون من جزئية من جزئياته

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٥ ص ٣٥ طبعة طهران .

(٢) سورة الحجر الآية ٢٢ .

(٣) سورة الاعراف من الآية ٥٧ .

(٤) سورة فاطر الآية ٩ .

(٥) سورة الروم الآية ٤٨ .

هذا الجهاز ؟ ومن الذى أمره بأن يكون فى موضعه الذى لا يختلف ؟ ومن الذى أمره بأن يقوم بهذا العمل وخصص له وظائفه ؟ إن أحداً لا يستطيع الادعاء أنه صنع جهاز التنفس لنفسه وهو فى رحم أمه ولا يستطيع أن يدعى أنه أمره بأن يكون فى موضـــعه ولا أنه خصص له وظيفة . كما لا يستطيع أحد الادعاء أنه خلق هذا الجهاز لغيره وفيه وله هذا التناسق العجيب وهذا يبطل قول القائلين بالطبيعة والصدفة — لعنة الله عليهم وعلى من يسير وراءهم من أذناب البشر — فالله تعالى وحده برحمته وقدرته وحكمته وعنايته هو وحده الذى خلقه وخلق له الرياح مادة الحياة له . وإلا فماذا لو خلق هذا الجهاز ولا يجد الرياح ؟ أو ماذا لو خلق الهواء ولا جهاز للإنسان ؟

إن هذا الخلق البديع المتناسق ليدعو إلى الاقرار بوحدانية الله تبارك وتعالى وقدرته وعلمه وأنه تعالى قيوم على خلقه هذه إشارة موجزة عن تنفس الإنسان للهواء ، فما بال أجهزة التنفس فى الحيوانات والحشرات والميكروبات والاسماك والطيور والنباتات إلخ .

إن هذا لو تناولناه بالبحث لأدركنا جانبا من رحمة الله تعالى لا بالإنسان فحسب بل بكل المخلوقات وصدق الله العظيم « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »(١) وصدق الله العظيم إذ يقول « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا »(٢) .

وإذا كان الهواء ضروريا هكذا فى رحلته داخل الجسم وبه يدق القلب ويتدفق الدم فيسرى فى جميع أجزاء الجسم إلا أن هذا الضخ له نظام

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢١ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٠٩

وقوانين دقيقة ويدق بقدر وميزان شأنه شأن كل شيء بقدر وميزان ، فليس شيء يتم جزافا أو خلق عبثا — تعالى الله عن ذلك علو كبيرا — حيث أن ضغط الدم داخل الجسم يوازى تماما الضغط الواقع عليه من الهواء الخارجي .

(إن وزن الغلاف الجوى يفوق التصور حيث يبلغ حوالى ٢٠١٦ رطلا على كل قدم مربعة . . . فإن الجسم لايحس بوطأة هذا الوزن بل لا يشعر بهذا الضغط على الإطلاق : وذلك لأن السوائل التى داخل الجسم تضغط هى الأخرى بضغط ما يعادل ويضاهى الغلاف الجوى)(١) وصدق الله العظيم « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور »(٢) . إنها رحمة الله تعالى بخلقه وحكمته وقدرته وعلمه به حتى فى هذا الذى لايدركه الإنسان ، وكم من أسرار رحمة الله لا يدركها الإنسان .

هذا الضغط الهائل من الهواء لو ترك الإنسان دون رحمة الله تعالى لضم أضلاعه ومزق أنسجته وهتك احشاءه ، ولو ترك ضغط الدم دون ضابط لا نفجرت أنسجته خارج جسمه وهلك الإنسان — وغيره — فى كلتا الحالتين ، لكن الذى قدر الأقدار ربط بين هذا وذاك وجعل بينهما تعاونا وانسجاما واتساقا ، ويعيش الإنسان — وغيره من المخلوقات — فى سلام وعافيه دون أرهاق أو حتى بمجرد إحساس بهذه العمليات وهو يمشى فى مناكب الأرض ليعيش ورحمة الله ترعاه .

٥ — ومن رحمة الله تعالى بنا فى نعمة الرياح أن خلق لنا نحن البشر —

---

(١) د/ مدحت اسلام : بحر الهواء الذى نعيش فيه ص١٢

(٢) سورة الملك الآية ٣ .

وغيرنا من المخلوقات — آذانا نسمع بها ، ولا يمكن للآذان من أداء وظيفتها إلا بالسماع ، ولايتم السمع إلا بالهواء . فالهواء وسط بين مصدر الصوت والسامع له وإذا لم يوجد هذا الوسط فلا معنى للإذن — وما كان فى خلق الله تعالى شىء بلا معنى — فسخر الله تعالى الرياح وجعلها متحركة تملأ جو الأرض كلها ، ولا يخلو مكان بدونها ، ومن ثم يستطيع الإنسان — وغيره من مخلوقات — بأثرها سماع الأصوات الخاصة به ، لو فكر الإنسان فى هذا بوعى وعقل مفتوح وقلب حى لظهر له جانبا من إعجاز الله تعالى ورحمته به وفضله عليه ولخر لخالقه ساجداً وشاكراً .

وهناك أمر فى غاية الإعجاز فى سمع الإنسان ، حيث أن الله تبارك وتعالى خلق للأذن حداً أعلى لاتسمع بعده ، وحداً أدنى لاتسمع ، دونه ، فأقل من ١٦ ذبذبة فى الثانية لا تسمعه الأذن وأعلى من ٢٠٫٠٠٠ ذبذبة فى الثانية أيضا لاتسمعه الأذن ، وما بين ذلك تسمعه الأذن ، بل وتستطيع أذن الإنسان أن تميز بقدرة عجيبة بين ٤٠٠٫٠٠٠(١) صوت مختلف ، ولعل هناك حكمة — أو حكم كثيرة لاندرك أكثرها — أرادها الله تعالى بسمع الإنسان فى هذا الحيز ، فهناك أصوات تحدث ولا يسمعها الإنسان رحمة من الله تعالى بنا حتى نعيش فى أمن وطمأنينة وسلام فلعل الإنفجارات المدوية فى الكون ترددتها أعلى من ٢٠٫٠٠٠ ذبذبة ولعل والشمس هى تجرى لمستقرها لها ، وكذا الأرض والقمر والنجوم وسائر الكواكب كذلك وأيضا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول (إن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك يقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن الله هداه قال : كنت أعبد الله . فيقول له

---

(١) هذه الأرقام مأخوذه من كتاب لغة الهمس للدكتور / مصطفى أحمد شحاته ص ٩١ الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٩٧٢ سلسله العلم للجميع .

ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول : هو عبد الله ورسوله فما يسأل عن شىء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان لك لكن الله عصمك فأبدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول : دعنى حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له : اسكن . قال : وإن الكافر أو المنافق إذا وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له : ما كنت تعبد : فيقول : لا أدرى ، فيقال : ما دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين)(١) .

وهنا نرى أن الملك يضرب الكافر والمنافق ليس فى أى مكان بل بين أذنيه ، ونرى كذلك أن صوت المطرقة المضروب بها يسمعه كل الخلائق ماعدا الإنس والجن . ولعل مثل هذه الأصوات تزعج الإنسان وتفقده صوابه ، وتجعل أمره فى اضطراب مستمر ، لكن من رحمته تبارك وتعالى أن خلق لنا الأذن ولم يشأ سبحانه لها أن تسمع مثل هذه الأصوات .

وهناك أصوات خافتة أى أقل من ١٦ ذبذبة فى الثانية لم يشأ الخالق أيضا أن نسمعها رحمة بعباده ، مثل حركات عضلات الإنسان ومفاصله وعمل الامعاء وجهاز الهضم والتنفس وعمل الكلى والكبد وغير ذلك كثير . ومعجزة الله تبارك وتعالى فى الإذن لم يستطع العلم بكل ما أوتى من خبرة وأجهزة وتقدم أن يضاهيها (فالأذن تحتوى من الأجهزة العلمية الدقيقة ما لا يقل عن ثمانية أجهزة : منها وحدة لتوصيل الموجات الصوتية وتجميعها وتكبيرها . وجهاز تعويض الصوت الفاقد ، ومحلل ميكانيكى واسع المدى ، ومحول متحرك ، ووحدة تكبير ، وجهاز توازن هوائى ،

---

(١) اخرجة الإمام البخارى فى كتاب : الجنائز : باب الميت يسمع حفق النعال ص ١١٣ ، وفى باب ماجاء فى عذاب القبر جـ ٢ ص ١٢٣ عن أنس — طبعة الشعب .

وجهاز ضغط التوازن الذى يعمل هيدروليكيا، وجهاز توصيل داخلى ثنائى الإتجاهات كل هذه الأجهزة الهندسية توجد فى حيز صغير لا يزيد عن طول وحجم ووزن أصبع السبابة)(١) .

ولن ترجمه المخ للشفرات الواصلة إليه ، وفك رموزها الكهربائية وتحويلها إلى كلام مفهوم فى منتهى السرعة والدقة إن هذا أعجز العلم والعلماء عن تفسيره ومازال حتى الآن سراً محجوباً يحير أولى الألباب وصدق الله العظيم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »(٢).

ولو أدرك الإنسان عناية الله تعالى ورحمته فى خلقه للإذن ومن أى شىء خلقت؟ وكيف تفاعلت مع الأجهزة الداخليـــة الأخرى؟ وكيف وازنت بين نفسها وغيرها من العوامل الخارجية عنها؟ وكيفية توقيت وجودها بين الحواس الأخرى؟ والإنسان مازال فى بطن أمه ماء، ومتى تقوم بدورها لأول مره؟ والسر فى ذلك، وكيف تتدرج فى ذلك السمع؟ ولماذا كانت فى هذا الموضع بالذات وبهذا الشكل وهـــذا الحجم؟ إن الإنسان لو أدرك كل هــذا وأدرك أيضاً أن كلمة واحدة لكى يسمعها هو أو يطلق كلمة لكى يسمعها غيره يتحرك من أجلها مئات الأطنان من الهواء لتحملها إلى أذنه أو أذن غيره من بنى جنسه (إن الجزء الواحد من الهواء يغير مساره ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٥ مرة فى الثـانية الواحدة)(٣) .

لو عرف الإنسان هذا لخر لله ساجداً شاكراً على نعمة الله له فى الأذن

---

(١) د/مصطفى أحمد شحاته : لغة الهمس ص ٩٩
(٢) سورة الإسراء آية ٨٥
(٣) د/عبد المحسن صالح : دورات الحياة ص ٦٦

وهى نعمة واحدة فكيف بالنعم الأخرى، «وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم»(١).

والقرآن الكريم سبح سبحا طويلا فى ذكره لحاسة السمع فى آياته الكريمة منها قوله تعالى: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا».(٢)

وقال تعالى «قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون»(٣)

وقال تعالى «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»(٤)

وقال تعالى: «الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون»(٥) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

والقارىء القرآن الكريم والمتدبر لقراءته يلاحظ أن الله تبارك وتعالى كثيرا مايذكر السمع قبل البصر ولعل ذلك الأهمية القصوى لهذه الحاسة وخطورة أمرها ودورها فيما خلقت من أجله. إن سماع الزور والكذب والغيبة والنميمة والسب واللعن واللهو من العابثات المغنيات اللاتى انتشرن

---

(١) سورة النحل الآية ١٨

(٢) سورة الإنسان الآية ٦

(٣) سورة الملك الآية ٢٣

(٤) سورة النحل الآية ٦٨.

(٥) سورة السجدة الآيات ٧، ٨، ٩

فى هذا الزمان وجند لهن الشيطان وحشد كل إمكانياته لإنتشار الفسق والفجور وخاصة بين المسلمين ، إن كل ما يلهى عن ذكر الله وشكره وعبادته وتنفيذ منهجه الذى جاء به رسوله سيدنا محمد ﷺ . إن كل ذلك أمر له خطورته ، وخروج عن منهج الله تعالى فى خلقه السمع وما خلقت له . وما خلق الله تعالى حاسة السمع لسماع مثل هذا العبث .

قال تعالى «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »(١) .

ومن تدبر وظيفة السمع وكم خلق الله تعالى فيها ولها من إعجاز ، حتى تؤدى رسالتها كما أراد لها خالقها استجاب لأمر الله بالاستماع إلى الحق وأحق الحق هو القرآن الكريم، وليس أى سمع بل السمع المقرون بالتدبر والخشوع وسريان حلاوته فى أعماق الإنسان ثم العمل بما سمع وفق منهج الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى «والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا »(٢) .

وقال تعالى «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »(٣) إلى غير ذلك من الآيات ، والمتتبع لها وللسنة المطهرة يجد منهاج الإسلام لمجال السمع ماذا يسمع وكيف يعمل ؟ وماذا يدع . وهذا أمر له أهمية قصوى لمن يتتبعه وهو يفيد الداعية والدعوة وخاصة لو أضيف إلى ذلك السمع فى المؤمنين والكافرين وماذا يسمع كل منهما فى الآخرة ، وياحبذا لو أضيف دراسة حاسة السمع لكل المخلوقات المعروفة لبنى الإنسان ، إن

---

(١) سورة القصص الآية ٥٥
(٢) سورة الفرقان الآية ٧٣
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٤

من يتدبر كل هذا ليدرك جانبا من عظمة الخالق وقدرته ورحمته وخاصة ما يتعلق بنعمة الرياح .

٦ — ومن إذاقة الله تعالى لنا من رحمته فى نعمة الرياح أيضاً أن جعل عيوننا ترى الأشياء وتبصرها وتميز بعضها من بعض ، وذلك أن الغلاف الهوائى هو الذى يشتت الضوء وينشره فى جميع الإتجاهات فالرياح هى الوسط الذى يجعلنا نرى فى النور ، والهواء بما فيه من ذرات دقيقة للغاية يعكس الأشياء لرؤيتها ، ولولا وجوده بهذه الكيفية ما استطاع مخلوق رؤية أى شىء ، ولأصبحنا نعيش فى ظلام دامس رغم تفتح العيون وسطوع الشموس وليتدبر القارىء كيف تكون الحياة فى هذا الظلام المستمر . فلولا الرياح لما أمكن النظر والرؤية فمن رحمة الله تعالى أن خلق العين بما فيها من إعجاز ، وخلق الوسط الذى به ترى وما فيه من إعجاز ، وخلق لها ما تراه وما أبدع ما تراه «صنع الله الذى أتقن كل شىء»(١) ، «الذى أحسن كل شىء خلقه»(٢) .

والله جل وعلا أمرنا أن ننظر ونطلق العنان للعين فى رؤيانا — باستثناء النظر المحرم — بل أوجب علينا النظر مع التدبر والبحث والاستنتاج وأخذ المعلومات والحقائق المفيدة للإنسان كل ذلك من بديع صنع الله تعالى فى كونه ، والكون كتاب الله المنظور أوجب علينا قراءته من سمائه إلى أرضه وما بينهما وما فيهما وفى كل ذلك من الآيات التى تدعو إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى على علم وبصيرة وعلى بينة وذلك بالدليل القاطع والحجة والبرهان ، ولن أستطيع ذكر تركيب العين وأجهزتها وكيفية أبصارها

---

(١) سورة النمل آية ٨٨

(٢) سورة السجدة آية ٧

فذلك له رجاله بخلاف المخلوقات الأخرى، وهذا بحث قيم وخاصة لو أسس على ذكر الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ فى هذا الشأن وما جاء فيهما من تحديد لمجال النظر من حيث الأمر والنهى، وكذا مجال لا فى الدنيا فحسب بل كذلك فى يوم القيامة واحواله والجنة والنار وما فيهما فهذا مجال طيب يفيد الدعوة والداعية أوجه إليه نظر الباحثين فى آيات الله الكونيه .

٧ — وللرياح دور كبير فى تشكيل قشرة سطح الأرض وهى عامل فعال فى ذلك، كما أن للرياح دوراً كبيرا فى اختلاف نشاط الإنسان وذلك أن لكل بقعة من الأرض مناخها وعلى اختلاف المناخ تختلف الزراعة والصناعة، والحيونات والطيور وغير ذلك، وهذا من رحمة الله تعالى وحكمته ومن رحمته كذلك أن جعل لكل بيئة ما يناسبها سواء فى المأكل أم الملبس وغير ذلك، وهذا من التناسق البديع فى مخلوقات الله تعالى، ونعمة الله فى الرياح ورحمته لا تتوقف عند زمان معين أو منافع محدودة بل تنطلق هذه المنافع وتشمل كل مناحى الحياة، وكل يوم يستحدث الإنسان منها الجديد : وتحت عنوان اكبر محطة لتوليد الكهرباء من الرياح كتبت صحيفة الأخبار تقول (يدرس العلماء فى المانيا الغربية حاليا إمكانية الاستفادة من طاقة الرياح كأحد الحلول المطروحة لحل أزمة الطاقة ونقص المواد الخام، وخطر تلوث البيئة بسبب مخلفات الوقود وتأتى دراسة إمكانية استخدام طاقة الرياح، ضمن برنامج تكنولوجى لمصادر الطاقة غير التقليدية الذى بدأ فى المانيا منذ ثلاث سنوات، ومن المقرر أن تقام أول محطة كبرى لطاقة الرياح على نهر الألب)(١).

كما يستخدم الإنسان الرياح كقوة لرفع المياه من الآبار وغيرها وقالت نفس الصحيفة (جهود العلماء لا تنقطع حول الاستفادة من الطاقة المستمدة

---

(١) الجمعة بتاريخ ٦ من رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — ١٨ / ٧ / ١٩٨٠ م

من المصادر الطبيعية وعمم العلماء . فى هولندا أول مضخة لرفع المياه تعمل بالكهرباء التى يمكن الحصول عليها من طاقة الرياح ، والمضخة المبتكرة تستطيع رفع المياه من عمق ١٥ مترا على ضفاف الأنهار(١)، كل هذا وغيره كثير من رحمة الله تعالى بنا فى نعمة الرياح، وكان الأولى والأجدر بالمسلمين أن يكونوا رواداً سباقين لمثل هذه المجالات حيث أن كتابهم المجيد يرشدهم إليها ويحثهم حثا عليها .

٨ — وهناك مجالات أخرى كثيرة ومتنوعة لنعمة الرياح التى وهبها لنا المنعم الوهاب منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ — جريانها للفلك . ٢ — نقل الكلام .

٣ — دورها فى صعود البخار إلى السحاب وتكوينه وإثارته ونقله ونزول الماء منه والأخير هذا أهم وأخطر من كل ما سبق فى هذا المقال ويحتاج إلى بحث مستقل ونقدم لمن أراد بحثه له بقوله تعالى « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون »(٢) وبقوله تبارك وتعالى « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »(٣) ، وبقوله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين »(٤) .

محمد رمزى أحمد فواز
مدرس مساعد بقسم الدعوة

---

(١) المرجع السابق نفس التاريخ
(٢) سورة الروم الآية ٤٨
(٣) سورة الإعراف الآية ٥٧
(٤) سورة الحجر الآية ٢٢